مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٧/١٢/٧

الذين يعرقلون مبادرة السلام

● في هذه الاسابيع الحاسمة التي يتقرر فيها مستقبل الشرق الاوسط للعشرات السنين المقبلة ، وتتارجح فيها كفتا الميزان بين الحرب والسلام ، يتعين علينا ان نسمو على ذاتنا ، وان نتناسى ما قد يكون بيننا من خصومات او خلافات في الراى ، وان نتجه بكل احاسيسنا وشعورنا نحو العمل الخطير لحفظ لنا مصر موحدة شامخة .. ان هؤلاء الذين يعملون على عرقلة مبادرة السلام التي بدأها رئيس الجمهورية المصرية بزيارته التاريخية للقدس في التاسع عشر من نوفمبر الماضي لم يستمعوا اذا تجمعوا في محاورهم ، لنظام الحكم القائم وحده ، بل انما يطعنون شعب مصر والامة العربية كلها في الصميم . فليس بعد مثل هذه المبادرة — لا قدر الله — الا البلبلة وحرب خامسة في المنطقة سوف « لا تبقي ولا تذر ! » .

● ان مصر التي خاضت اربع حروب السلم والامن الدولي للخطر ان يلتمسوا مع اسرائيل خلال اقل من ثلاثين عاما حله بادىء ذي بدء بطريق المفاوضة شعت خلالها بعشرات الالوف من اعز والتحقيق والوساطة والتوفيق .. الخ »

شبابها بين شهيد وجريح ، وتحملت من الخسائر المادية والنفقات ما يجاوز طاقتها ويكاد يعجزها عن مواصلة بناء مستقبلها وتأمين العيش الكريم للملايين من أبنائها .. مصر هذه لن تتردد في دخول حرب خامسة مع اسرائيل اذا لزم الامر . أما اذا كان هناك بصيص أمل في الوصول الى سلام دائم وعادل في المنطقة بكامل الجلاء عن الاراضي العربية المحتلة منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، ويحقق للشعب العربي الفلسطيني المشتت في كل مكان قيام دولة له على أرض فلسطين ، فلماذا السكب على سلوك هذا السبيل؟

● ولماذا الاصرار على رفض المفاوضة مع العدو ، أو التمسك بالا تجرى المفاوضات معه الا عن طريق وسيط مع أن المفاوضات المباشرة هي أقرب السبل للوصول الى الهدف ؟ لذلك جعلتها المادة الثالثة والثلاثون من ميثاق الامم المتحدة هي مكان الصدارة من وسائل حل المنازعات سلميا بين الدول. فقالت « يجب على أطراف اى نزاع في شأن استمراره ان يعرض حفظ

وتاريخ العالم السياسي والدبلوماسي حتى أبعد العصور حافل بالمؤتمرات لعقد بعد الحروب بين الاطراف المعنية مباشرة لاحلال السلام محل القتال وسفك الدماء ! ولنكن لنا أسوة في السيرة العطرة لخاتم الانبياء وسيد المرسلين مع كفار قريش في صلح الحديبية كما اشار اليه هذه الايام اكثر من كاتب فاضل

● **ان الدول العربية التي تتزعم « جبهة الرفض » للمبادرة المصرية — وليس من بينها الا دولة واحدة من دول المواجهة وهي سوريا — مازالت تنكر للاسف الشديد بعمله سلبية عنيفة جرت على الامة العربية وعلى شعب فلسطين دائما النكبات تلو النكبات .**

لقد رفضنا منذ ثلاثين عاما قرار تقسيم فلسطين الصادر من الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الذي اعطى لليهود السيادة الاقليمية على ما مساحته ٥٦ ٪ من أرض فلسطين كما رفضنا كل مشروع حل يقوم على اساس الاعتراف بالكيان اليهودي في فلسطين أيا كان ولو من صورة

« كانتونات » على غرار « الولايات » أو « الاقاليم » فى دولة سويسرا الاتحادية . وأثرنا القتال للقضاء على دولة اسرائيل « المزعومة » التى أعلن عن قيامها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وكانت النتيجة أن أصبح اليهود بعد أقل من سنتين من قرار التقسيم يسيطرون على ما يقرب من ٨٠ ٪ من أرض فلسطين بما فى ذلك الجليل الغربى وعكا ويافا ومعظم صحراء النقب وغيرها من الاجزاء التى كانت من نصيب عرب فلسطين فى قرار التقسيم ، وتوغل اليهود جنوبى النقب فى اتجاه خليج العقبة ليقيموا ميناء « ايلات » مكان قرية عربية صغيرة كانت تعرف باسم « أم الرشراش » .

■ **ولقد استمرت بعض الدول التى تنزعم الان « جبهة الرفض فى استراتيجيتها السلبية الرامية الى القضاء على الدولة اليهودية فى فلسطين مما ادى الى اشعال حرب ١٩٥٦ ثم حرب يونيو ١٩٦٧ وكان من نتائجهما التى مازلنا نقاسى منها حتى يومنا هذا احتلال اسرائيل لكل مساحة فلسطين بما فى ذلك القدس العربية بالاضافة الى هضبة الجولان وشبه جزيرة سيناء !**

● ولم تكن المفاوضات المباشرة مع العدو الاسرائيلى ممكنة ولا مرغوبا فيها فى مثل تلك الظروف المنكودة بالنسبة لامتنا العربية ، ولم يكن ثمة بد من قبول وساطة الغير ومساعيه الحميدة « لازالة آثار العدوان » ، بتحقيق الجلاء عن الاراضى العربية التى احتلت فى عام ١٩٦٧ ، والحفاظ فى الوقت نفسه على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين. فأصدر مجلس الامن بالاجماع قراره المعلوم رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ «بشأن مشكلة الشرق الاوسط». فقبلته مصر والمملكة الاردنية الهاشمية، وسارعت الى رفضه كل من سوريا والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية التى شكلت فى هذه الاثناء لتمثيل شعب فلسطين فى نضاله من أجل حقوقه المشروعة . وبدا السفير جونار يارنج ممثل الامين العام للامم المتحدة مساعيه المضنية لتنفيذ قرار مجلس الامن ، وفشل فشلا ذريعا لتصلب اسرائيل وتعنتها فى مواقفها ، كما فشلت جميع الوساطات الاخرى من جانب الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، والدول الخمس الكبرى ، أو الدول الاسيوية والافريقية الصديقة.

● وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقد حققت فيها القوات المسلحة المصرية ما يشبه المعجزات وقضت على أسطورة التفوق العسكرى الاسرائيلى ، فتغيرت الصورة تماما فى الشرق الاوسط أمام العالم وأمام الامة العربية ذاتها بعد أن استردت ثقتها فى نفسها ، وأصبح الطريق ممهدا أكثر من أى وقت سابق لاقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ، لاسيما بعد أن مهدت له اتفاقيات فك الاشتباك الثلاث على الجبهتين المصرية والسورية ، وحتى لا يتجمد الوضع من جديد كما أخذ يتجمد بالفعل تحت سمعنا وبصرنا العاجزين، وكاد أن يؤدى الامر بنا مجددا الى دوامة اللاسلم واللاحرب والى تلك الحلقة المفرغة التى لا يكاد يوجد مخرج منها الا بنشوب حرب جديدة فى المنطقة بين العرب واسرائيل ، سوف يتحمل جيش مصر بالضرورة وللمرة الخامسة على التوالى النصيب الاعظم من اعبائها وتضحياتها دون أى أمل فى أن تتمخض هذه الحرب فى النهاية عن فرص أفضل للسلام المنشود !

● كان لابد لتجنب هذه الدوامة ، ولكسر تلك الحلقة المفرغة من قرار خطير وغير عادى يتخذه زعيم مسئول مدرك لبواطن الامور ، ومستعد للتضحية بالنفس من أجل القضية التى يؤمن بصوابها وعدالتها ، فكانت مبادرة رئيس الجمهورية المصرية وتصميمه

الواعى على مواجهة الخصم بالحقائق فى مقر داره ومعقله ، وازالة مسا اسماه بحاجز الخوف وفقدان الثقةالذى اقامته وعززته ثلاثون سنة من البغضاء والمعارك ومن الممكن أن يستمر لثلاثين سنة أخرى لولا تلك المبادرة التىنسفت ذلك الحاجز نسفا ، واذهلت العالم كما اذهلت الخصم والامة العربية جمعاء.

● هناك ولاشك من يعتب علىرئيس الجمهورية المصرية انفراده بتلك المبادرة دون استشارة رؤساء الدول العربية الشقيقة قبل سفره الى القدس .ولعله رغب فى عدم توريط غيره من الرؤساء فى تلك الزيارة التاريخية الفريدة او تحميله مسئوليتها ، كما أن النتيجةكانت متوقعة مسبقا تؤكدها المؤتمرات التى انعقدت وتنعقد فى طرابلس وبغداد لزعماء جبهة الرفض ، وحملات التشهير الرخيص التى تطلقها اجهزة اعلام دولهم والتى بلغت حد التهديد بالقتل ! وهى ان دلت على شىء فانما تدل على أن بعض الزعامات العربية مازالت تعيش مع الاوهام والخيالات التى سيطرت علينا منذ اكثر من ثلاثين عاما ، وتأبى باصرار عنيد وغريب معايشة الواقع الذى لا مفر منه والمعترف به فى كافة الاوساط الدولية، وهى فى نشدانها تلك الاوهام والخيالات رغم علمها باستحالة وضعها موضع التنفيذ ، مثل القضاء على اسرائيل عسكريا واقتصاديا والقاء الاسرائيليين فى البحر لا يعنيها ولا يؤرقها أن تستمر الحروب والمعارك فى المنطقة الى آخرجندى مصرى وآخرقرش فى الخزانة المصرية ! ان شعب مصر الذى بذل بسخاء من دمه وعرقه وماله حتى غدا من أفقر شعوب المنطقة بعد أن كان من اغناها ، يأبى أن ينساق وراء تلك الاوهام والخيالات الزائفة على حساب المصالح الحقة للامة العربية ، وصالح الفلسطينيين انفسهم وتعريضهم لمزيد من المصائب والنكبات.

● وبعد ففى تاريخ كل أمة لحظات يتعين فيها على اصحاب الراى وحملة الاقلام أن يحددوا مواقفهم فلا يقفوا موقف المتفرج او المترقب ، فان كان الناتج خيرا ادعوا انهم تمنوه وعملوا من اجله ، او شرا تنصلوا منه ! اننا كما سبق أن نوهت نمر بلحظة من تلك اللحظات . لذلك وكواحد من افرادهذا الشعب ممن اعتادوا الادلاء بوجهة نظرهم فى القضايا الهامة ، لا يسعنى الا التعبير عن تاييدى لتلك المبادرة المصيرية رغم انتمائى سياسيا لحزب تحت التاسيس يستهدف أن يقوم بدوره فى حمل لواء المعارضة اذا ما قدر له ان يكون . ذلك ان تلك المعارضة كما نتصورها ونبتغيها ، تبنى ولا تهدم، تخدم ولا تعرقل ، تضع الصالح القومى فوق كل اعتبار آخر وفوق الجميع !

وازاء الظرف الدقيق الذى نجتازه وتجميع قوى الرفض العربية الثائرة علينا ، عن جهل او حقد او سوء تقدير ، والمتحفزة لعرقلة واحباط مبادرة هى امل الملايين من المصريين وغيرهم ، فى اقامة سلام عادل ودائم فى المنطقة ، لست اشك فى انه ينبغى علينا جميعا ، أيا كانت اتجاهاتنا ومشاربنا ، ان نضم صفوفنا ونوحد كلمتنا لمواجهة المساعى الهدامة لكل تسوية سلمية مهما كانت عادلة ومنصفة ، ابقاء على حالة الفوضى وعدم الاستقرار فى المنطقة ، وخدمة لبعض القوى الاجنبية العظمى التى يحلو لها الصيد فى الماء العكر . « وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون » .

[صدق الله العظيم]

د. وحيد رأفت